

بوبر من الايبستيمولوجيا الى علم المستقبليات

الأستاذ: بكيري محمد أمين

جامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة

m.bakiri@univ-dbkm.dz

ملخص:

الغرض من هذه الدراسة هو إبراز الرؤية الايبستيمولوجية وإمكانية وجود مقارنة بينها وبين علم المستقبليات لدى فيلسوف العلم السير كارل ريمون بوبر الذي يعد فيلسوف المنهج العلمي الأول بدون منازع. وهذا ما يفسر الاهتمام الكبير بفكره كونه أحد القلائل الذين اقتحموا كل الحقول انطلاقا من فلسفة العلوم إلى مجال العلوم الاجتماعية بما في ذلك السياسة وعلم المستقبليات. الكلمات الدالة: الإيبستيمولوجية؛ علم المستقبليات؛ التنفيذ؛ التاريخانية.

Résumé

L'objectif de notre étude et de démontrer la vision épistémologique et la possibilité de établir une approche avec la futurologie chez le philosophe de la science sir Karl Raymond Popper qui est considéré comme la référence dans la philosophie des sciences ce qui explique l'intérêt que porte les gens de sciences a ses idées, lui qui a exploité tous les domaines de la philosophie des sciences en passant par les sciences sociales tout en incluant la politique et la futurologie.

Mots clés : l'épistémologie ; futurologie ; Réfutabilité; l'historicisme.

مقدمة

ينظر كثير من الدارسين الى المستقبل على أنه شيء مطلق من الخطأ الخوض في مجاله والعمل على دراسته ويعود ذلك من ناحية إلى الخلط بين ما هو محتمل، أو ممكن الحدوث على المدى البعيد أو محتمل على المدى القريب، ومن ناحية أخرى ينظر البعض إلى المستقبل على أن له مسار واحد لا ينحرف عنه (حتمية)* ويتجاهل أننا في حقيقة الأمر أمام "مستقبلات" وطرق متعددة ومختلفة وما بين المستقبل القريب أو البعيد والاحتمالات أو التخمينات، تتعدد الرؤى وتباين الاتجاهات.⁽¹⁾

لقد تسارعت وتيرة التغيرات التكنولوجية والاجتماعية والثقافية وغيرها خصوصا بعدما أدرجت أنظمة الحاسوب المتطورة والنماذج الرياضية المعاصرة، كل هذا الكم المعرفي في جل المجالات استلزم البحث عن حقل جديد يمكن الإنسان من الخوض في غمار المستقبل إما من أجل تفادي الأزمت أو القدوم نحو الأفضل.

يعد حقل علم المستقبل "futurologie" أو استشراف المستقبل من الحقول المعرفية المعاصرة حيث يرجع كثير من الدارسين بروز هذا الحقل المعرفي في بداية القرن العشرين، إلا ان اهتمام الانسان بالمستقبل قديم شأنه في ذلك

*-هنا إشارة للتاريخانية: « مبنية على الاعتقاد والايان أن الانسان تتحكم في مستقبله قوى خفية غيبية لا يعرفها...هذه الدعوة المتمثلة في تصور تاريخ باعتباره سلسلة من الفترات المتتابعة حسب نظام ثابت الذي من خلاله يمكننا فهم الظاهرة والتنبؤ بمستقبل حدوثها . للاطلاع أكثر أنظر: رسالة ماجيستر الفكر السياسي عند كارل بوبر للأستاذ بكيري محمد أمين، ص72-73.

¹-محمد نبيل، نوفل، رؤى المستقبل، المجتمع والتعليم في القرن الحادي والعشرين. المنظور العالمي والمنظور العربي، مجلة التربية العربية، المجلد السابع عشر، العدد الأول 1997.

شأن العلوم الأخرى لأن الطبيعة البشرية مولعة دائما بتطلع إلى الغد، «فمنذ آلاف السنين فهم الانسان الدورة الطبيعية لتكوين الليل والنهار، الحياة والموت، فابتدعوا النبوءات القديمة والاساطير والفنون والعلوم، وهو الامر الذي يوحي أن الجنس البشري كان ومازال مستقبليا بالفطرة»⁽²⁾ وعبر التاريخ، حاول علماء ومفكرون استشراف المستقبل من خلال طرح بعض الرؤى والتصورات المستقبلية المبنية على اعتبارات منطقية واستنباطات تحليلية تولدت لديهم، نذكر منها على سبيل المثال، تصور أفلاطون مؤلفه الجمهورية للنظام السياسي الأمثل في المستقبل، والفارابي في مدينته الفاضلة، وفوكوياما صاحب نظرية نهاية التاريخ. خيال كل هؤلاء ورغبتهم في فهم المستقبل ولد هذه الرؤى والتصورات المستقبلية.

وعلى ضوء ما سبق سنحاول في هذه الورقة البحثية تقديم صورة واضحة نوعا ما لمفهوم الاستشراف المستقبل أو علم المستقبل بغية رفع اللبس على هذا المفهوم نظرا لتعدد الدراسات التي لا تفرق بين علم المستقبليات والتنبؤ، من هذا جانب نحاول عرض لأهم أفكار كارل بوبر الايبستيمولوجيامع التركيز على تأثير هذا الأخير بعرض تصور لعلم المستقبليات على أسس إيبستيمولوجية تتوافق مع فلسفة كارل بوبر.

الاشكال: كيف برر بوبر موقفه من علم المستقبليات؟ ومن منظور مختلف إلى أي مدى يمكن تأسيس لعلم المستقبل على أسس إيبستيمولوجيا أو ماهي الأسس التي تقوم عليها المقاربات بين الايبستيمولوجياكارل بوبر ودعوته لعلم الاستشراف المستقبل؟

مؤخرا ازداد وتضاعف الاهتمام بالدراسات المستقبلية رغم هذا ظلت محصورة في أمريكا وأوروبا، وانتقل إلى بعض الدول الأخرى كالاتحاد السوفييتي سابقا واليابان وغيرهما، «ومن جانب آخر لم تحظ الدراسات المستقبلية ما تستحقه من اهتمام وعناية في العالمين العربي والإسلامي، حيث اقتصرت معظمها على جهود فردية تسعى لاستشراف بعض الجزئيات المتعلقة بالمستقبل العربي»⁽³⁾ لأنه لم تظهر العناية بهذا النوع من الدراسات إلا في السنوات الأخيرة، «كما ظل كثير من هذه الدراسات جزئيا وغير قادر على تحقيق الطموحات التي كانت معلقة عليه.»⁽⁴⁾ وفي هذا الصدد يؤكد محمد نبيل نوفل أن كثيرا من المشكلات التي نعاني منها اليوم في العالم العربي وخارجه، هي في الأغلب نتيجة لقصر النظرة المستقبلية في الماضي.⁽⁵⁾

وإذا وضعنا كلمة مستقبل داخل الإطار اللغوي دلت كما جاء في القاموس المحيط: «على الزمن الذي يأتي بعد الحاضر»⁽⁶⁾، فالزمان ينقسم إلى ثلاث مراحل الماضي وهو كل سابق على الحال القائم والحاضر كل ما هو قائم حاليا وفي حالة حركة، والمستقبل هو الاتي بعد الحاضر.⁽⁷⁾

فالمستقبل منفتح أمام الانسان وإنه مجال الانسان وموئل الحرية والاختيار، وميدان العمل والإنتاج، لذا لا يتركز العمل هنا على ما حدث وصار، بل بالضرورة والمصير، وليس بما يمكن أن يكون وبما يجب أن يكون.⁽⁸⁾

² - يحيى سعيد قاعود، أطروحات فوكوياما وهانتونغتون والنظام العالمي الجديد: دراسة تحليلية مقارنة، (الرياض: مركز البيان للبحوث والدراسات، 2015)، ص 104.

³ - توفيق بن أحمد القصير، آلية تحقيق واستمرار الدراسات المستقبلية، أبحاث ندوة مستجدات الفكر الإسلامي والمستقبل، ط 1، (الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1993م)، ص 166.

⁴ - محمد السيد، سعيد، المشروعات الراهنة للدراسات المستقبلية، صارت أكثر ميلا للجزئية. الأربعاء 15 ماي 1996.

⁵ - محمد نبيل، نوفل، رؤى المستقبل، المجتمع والتعليم في القرن الحادي والعشرين.

⁶ - الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ط 1، (لبنان: دار العلم للملايين، سنة 1989)، ص 153.

⁷ - وليد عبد العي، الدراسات المستقبلية: النشأة والتطور والاهمية، مجلة التسامح، العدد 09، عمان، 2005، ص 68.

⁸ - قسنطيني رزيق، نحن والمستقبل، ط 2، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1992)، ص 167.

و يعتبر عالم الاجتماع الأمريكي غلفلين (S. Gilfillan) أول باحث استخدم تعبير علم المستقبل (science of the future) في أطروحة تقدم بها إلى جامعة كولومبيا لنيل درجة الدكتوراه عام 1920 وكان قد استخدم في مقال له عام 1907 مصطلح Mellontology وهي كلمة لاتينية تعني أحداث المستقبل⁽⁹⁾ إلا أن ظهور هذ المصطلح بهذه التسمية "علم المستقبل" "Futurologie" يعود إلى العالم السياسي الألماني أوسيبفلختايم (OssipFlechtheim) سنة 1943 في مجموعة من الأبحاث نشرها حول التنبؤ الاجتماعي، ولقد أتم شرح هذا المصطلح في كتابه "التاريخ وعلم المستقبل" حيث استخدم هذا المصطلح على أنه بحث عن منطق المستقبل بالطريقة نفسها التي يكون فيها التاريخ بحثا في منطق الماضي، والهدف من تطبيقه تشجيع المجتمعات على أن تصبح أكثر توجها نحو المستقبل.⁽¹⁰⁾

فعلم المستقبل ينظر إليه بعض الدارسين على أنه منهج لتطوير والتحديث وبناء المستقبل الذي يعتمد على مقارنة بين أغلب التخصصات للاستفادة من مزايا التي يقدمها كل علم أو تخصص في بناء المستقبل... وهكذا فإن كل العلوم تهدف إلى استشراف الأحداث المستقبلية، وتوجيهها ما أمكن. وهذا انطلاقا من الوقائع الموجودة الآن في الحاضر. حتى حينما نستكشف الماضي، فإننا في الحقيقة لا نبحت إلا عن توسيع قاعدة المعلومات المتعلقة بالحاضر⁽¹¹⁾، فالمستقبل مجال يفتح حرية الاجتهاد في التفكير والتنظير، ويزرع الأمل نحو بناء مستقبل أفضل، ونجد كيستون بيرجر (1960-1896) *Gaston Bergerr يقول: «إن هدف الاستشراف أو دراسة المستقبل ليس فقط النظر البعيد بل النظر بصورة واسعة والتحليل لجوهر الظواهر بالاستعانة بالخبراء واستعمال تقنيات وتحليل النظام "وبذلك فإن الاستشراف المستقبلي هو اجتهاد علمي منظم يرمي إلى صياغة مجموعة من المجتمعات عبر حقبة مقبلة تمتد لأبعد من عشرين عامًا وتنطلق من بعض الافتراضات الخاصة حول الماضي والحاضر»⁽¹²⁾ ومنه يصبح الغاية من دراسة المستقبل تجنب القرارات المترجلة بتحديد الأولويات وأخذ القرارات المناسبة قرارات تكون منفتحة لا تقصي أي اقتراح قرارات بعيدة عن الدغمائية لذلك يمكن اعتبار الاستشراف المستقبلي منهج للتطوير والتحديث وبناء مستقبل أفضل.

وهنا يجدر التذكير بالتمييز بين دراسة المستقبل والتوقع، إن استشراف المستقبل ليس تنبؤا لكنه، خلافا للرأيا الشائع، لا يتماها مع التوقع إنهم محاولة لتصور مختلف صيغ المستقبل الممكنة أو "ممكنا للمستقبل". وعليه فالاستشراف المستقبلي يصب اهتمامه أولا إلى الحاضر في فحص "اختبارات الممكنة مستقبلا التي يحتمل تكونها، المستطاع إدراكها، ويستفسر القرارات الراهنة عن عواقبها الممكنة وهو في مرحلته الأخيرة محاولة في "إدارة ما لا يمكن توقعه" في مستقبل.

يذكرنا هذا بالنص لمحاضرة ألقاها كارل بوبر في جامعة القديس غال بسويسرا سنة 1989 يقول فيها: «المستقبل مفتوح ومتعلق بنا جميعا، إنه متعلق بما تفعله وافعله ويفعله غيرنا من الناس، اليوم وغدا وبعد الغد. وما سنفعله

⁹ - فؤاد بلمودن، الدراسات المستقبلية: الأسس الشرعية والمعرفية والمنهجية لاستشراف المستقبل، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2013)، ص 17.

¹⁰ - يحيى سعيد قاعود، المرجع سبق ذكره، ص 104

¹¹ - إلياس بلكا، الوجود بين السببية والنظام، دراسة في الأساس الشرعي والفلسفي لاستشراف المستقبل، ط1، (فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي --الولايات المتحدة الأمريكية، 2009)، ص 35.

*- فيلسوف فرنسي يعتبر مؤسس علم الاستشراف المستقبلي.

¹² - محمد وائل القيسي، الأداء الاستراتيجي الأمريكي بعد عام 2008 إدارة بارك أوباما أنموذجًا، ط 1 (الرياض: العبيكان للنشر 2016)، ص 265.

متصل هو الآخر بفكرنا ورغباتنا وأمالنا وتخوفاتنا، بتعبير آخر، إنه متصل برؤيتنا للعالم وبحكمنا وتقديرنا للإمكانات الكبيرة والواسعة والمفتوحة التي يحملها لنا المستقبل.⁽¹³⁾

«المستقبل يعتمد على الإنسان ولم يعد معتمداً على أية ضرورة تاريخية»⁽¹⁴⁾ وعليه قبل الحديث عن المستقبل يجب أن نعي الحاضر الذي نعيشه الآن وبذلك الإنسان يملك العناصر المكونة لمستقبله لا يبقى له إلا إدراكها وبذلك يدعو "بوبر" الباحث ويحثه على البحث المستمر في ماضيه وحاضره من أجل مستقبل أفضل، لكنه يدعو لصياغة نتائج بحثه في شكل فروض مستوفاة الشروط العلمية والمنطقية. وتقديمها كمحاولة للاختبار والنقد، بقصد العثور على موضع الخطأ بغية تجنبه مستقبلاً ولحل مشكلات معينة قد تساهم بدورها في نمو المعارف الإنسانية انطلاقاً من تفنيد الماضي والحاضر من أجل عالم أفضل، فالمنهج العلمي عند بوبر هو منهج المحاولات المستمرة التي تبعدنا كل مرة عن الخطأ وتوجهنا نحو الصواب لأننا كما يقول: «إننا نعم جميعاً نرتكب أخطاء»⁽¹⁵⁾.

ويقول كذلك: «أنا واع بلا عصمتي الشخصية التي ستؤثر على ما سأقوله الآن، أعتقد أن للمقاربة اللامعصومية (approchefaillibilité) الكثير مما ستمنحه للفلسفة الاجتماعية، التكوينية النقدية بإمكانها أن تقودنا بالضرورة مستقبلاً إلى تقييم أفضل للعادات والفكر الثوري، من خلال الاعتراف بالجوهر النقدي وبالطابع الثوري لكل فكر إنساني يعني كوننا نعي أننا نتعلم من أخطائنا وليس من تجميع الوقائع (الملاحظة، الخبرات) وبالاعتراف أيضاً من جهة أخرى بأن كل المشكلات وكذلك كل مصادر فكرنا هي متجذرة في التقاليد، لهذا فكثير ما ينصب النقد عليها؛ أحسن من ذلك بإمكانها إيضاح أن دور الفكر هو تنفيذ وإحداث الثورات بواسطة النقاش النقدي لا بواسطة العنف والحرب، ويفضل النقاش النقدي الذي يعد التقليد العظيم للعقلانية الغربية، المحاربة في المعارك بالكلمات بدل السيوف، ولأجل هذا فإن حضارتنا الغربية هي في جوهرها تعددية. وأخيراً نسعى لفهم الغاية الاجتماعية الواحدة التي تعني موت الحرية، موت حرية الفكر، موت البحث الحر عن الحقيقة التي بموتها تموت العقلانية والكرامة»⁽¹⁶⁾. هكذا تصبح النظرية التكوينية الأساس الجوهرية الذي بنيت عليها فكرة الانفتاح، الداعية للتعددية، التنوع والاختلاف، تحت لواء الاتفاق والتواضع للآخر وبذلك يصبح فكره دعوة لتصور مستقبل أفضل مستقبل يسمح لنا بتجاوز أي انحياز أيديولوجي منغلق ونلمس هذه الدعوة في قول بوبر: «أنا متفائل والتفاؤل يمكنه أن يقدم لنا الأمل والدافع [...]»⁽¹⁷⁾.

إذا أمعنا النظر في كتب بوبر يمكننا تحديد مجالين أساسيين: فلسفة العلم "الإبستمولوجيا" من جهة والفلسفة السياسية من جهة أخرى؛ فالظاهر للوهلة الأولى أنهما مجالان متباعدان إلا أن الاتساق في فلسفة هذا الأخير مكنته من الجمع بينهما، وبالتالي فهو يعتبر الإبستمولوجيا نقطة البداية تسمح لنا بالاستشراف لبناء مجتمع أفضل يغذي الحرية الفردية بالانفتاح على الآخر، فإن فلسفة بوبر تنظر بععمق إلى علاقة الفرد بمجتمعه من جهة وعلاقة الفرد بحاضره ومستقبله، ويبدو مما سبق أن بوبر يذهب بمنهجه المطبق في فلسفة العلوم "التفنيديّة" إلى أبعد من هذا

¹³ - نصمحاضرة كارل بوبر في جامعة القديس غال بسويسرا سنة 1989. الفقرة مأخوذة من كتاب درس القرن ترجمة وتقديم زواوي بغورة، منشورات الاختلاف 2008، ص 103.

¹⁴ - خديجة زيتلي، الفلسفة السياسية المعاصرة: قضايا وإشكاليات، ط1، (الجزائر: منشورات الاختلاف، 2014)، ص 212.

¹⁵ - كارل بوبر، الحياة بأسرها حلول لمشاكل، تر: بهاء درويش، ط 1، (الإسكندرية: منشأة المعارف العامة، 1994)، ص 270.

¹⁶ - Karl Popper, *la société ouverte et ses ennemis. Hegel et Marx vol2*, Trad. Jacqueline Bernard et Philippe Monod, (paris : éditions du seuil, 1979), Pp, 205-206.

¹⁷ - كارل بوبر: الحياة بأسرها حلول لمشاكل، ص 285.

بل عمل على تطبيقه حتى في المسائل التي تخص العلوم الاجتماعية وعليه بوبر يتبنى أبستمولوجيا تطويرية مفتوحة قال بموجبها أن الكون مفتوح وأن المستقبل مفتوح أيضا⁽¹⁸⁾

إن تصحيح الخطأ يشكل إذن أهم منهج من مناهج البحث والتعلم بصفة عامة. فهو يكشف الستار عن أخطائنا لذلك نجد بوبر في أغلب كتبه يصرّ أنه يمكننا أن نتعلم من أخطائنا، وتجدر الإشارة أن هذا التبصر المستقبلي في نظره يعدّ قاعدة لكل إبستمولوجيا بحيث تصبح المنهجية التي بها نعي كيف نتعلم بطريقة أكثر تنظيما وكيف نتقدم بسرعة لمواكبة المستقبل بمشاكله ولا يتجسد ذلك إلا بالبحث وإدراك أخطائنا، والتعلم منها بطريقة منظمة ومنهجية لأن الماضي لا يمكن تغييره حتى وإن اجتهدنا بالقيام بكل شيء باللجوء إلى ما يقوم به المثاليون والذاتيون أو الوضعانيون على العمل على تغيير معرفتنا بالماضي، بالبحث في الوثائق التاريخية الموجودة وليس الماضي شيئا غير الذي ما قد حدث فعلا،¹⁹ فحياتنا خلال أعمالنا اليومية ليست إلا محاولات لتغيير المستقبل إن أعمالنا العقلانية الحاضرة هي محاولات عديدة للتأثير على المستقبل أو لتحديده لكننا ننظر إلى المستقبل كما لو أنه لم يثبت بعد و في ذلك يشير بوبر في قوله: «فالمستقبل (على عكس الماضي الذي هو مغلق) لا يزال مفتوحا، إنه ليس محددًا كلية إننا نستطيع أن نؤثر عليه»⁽²⁰⁾.

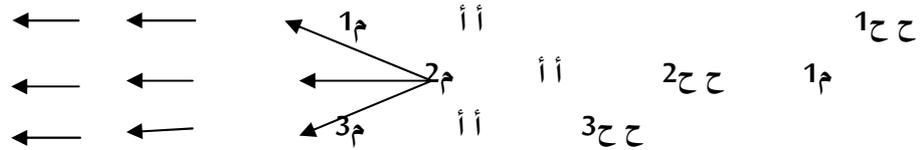
نفهم من هذا التصريح أنه يتوجب على العالم الاهتمام بالتكذيب في حد ذاته؛ لأن اكتشاف كذب نظرية يعني اكتشاف صدق نقيضها، لذلك فإنّ منهج "المحاولة والخطأ" ضروري لتقدّمنا في حل مشكلاتنا العملية الراهنة والمستقبلية باستعدادنا للتعلّم من أخطائنا مع الانفتاح على رهانات المستقبلية وقد أشار بوبر إلى هذه الصورة التطورية بالصيغة التالية:



الشكل (أ) يمثل الصورة المنهجية لأي محاولة

حيث تشير P1 (problème 1) إلى مشكل و TT (tentative théorie) إلى محاولة حل، EE (erreur élimination) إلغاء الخطأ ثم مشكل ثاني P2 (problème 2).

أما حين يصعب تحديد الحل الأفضل تتخذ الصياغة الشكل التالي:



الشكل (ب)

والتي تعتبر في نظره أساس كل العمليات العقلية كما أنها تمثل التصور الحقيقي لما يحدث في المعرفة العلمية من تقدّم وتطور، ويبدو أن محاولة حل المشكلة TT تحملنا مباشرة إلى تفادي وقوعها في المستقبل، فإذا كان الكون مفتوح فهناك مكان لحرية الانسان الإبداعية لكن في هذا الحال يجب أن يكون المستقبل مفتوحا أيضا، فلا يكون بالضرورة مشابها للماضي، لكن يمكن في نطاق ما أن يكون ممكنا أن يقرر عقلانيا.⁽²¹⁾

¹⁸ - لخضر مذبح، فكرة التفتح في فلسفة كارل بوبر، ط1 (الجزائر: منشورات الاختلاف، 2009)، ص، 357.

¹⁹ - لخضر مذبح، مرجع سبق ذكره، ص 249.

²⁰ - المرجع نفسه، ص 249.

²¹ - المرجع نفسه، ص 252.

وإذا أردنا شرح مدلول هاته الصيغة فتتنضوي تحتها عدة مفاهيم أساسية نذكر منها: نمو المعرفة العلمية، النزعة التطورية، قابلية النظرية للتكذيب والانفتاح على رؤى مستقبلية متعددة تعتبر في حد ذاتها دعوة إلى تجسيد عالم أفضل لذلك يرفض بوبر: «تصور الكون كشريط سينمائي تكون فيه صورة المستقبل هي صورة الماضي أي يكون محدد مسبقاً ولا مجال لتغييره»⁽²²⁾.

وإذا حاولنا أن نقوم بمقاربة بين الاستشراف المستقبل ونمو المعرفة عند بوبر فإن نمو المعرفة حسبه يخطو ويتقدم ابتداءً من حذف وتجنب الخطأ، كما سبق وإن أشرنا «حيث نبدأ بمشكلة ما، ونصيح حلاً مؤقتاً، أو نظرية مؤقتة، ثم نعرضها بعد ذلك لكل الاختبارات الشاقة الممكنة في إطار عملية حذف الخطأ الذي يقودنا لصياغة مشكلات جديدة»⁽²³⁾.

وهذه الصياغة (ب) تمثل تعدد الاتجاهات السياسية والمذاهب الفلسفية،⁽²⁴⁾ فهذه الصياغة من أخصب أفكار بوبر تؤكد صحة المقاربة التي قام بها بوبر بين الاستمولوجيا والسياسة-ويمكن أن نقيسها على مجالات أخرى التي تساهم بتوفير الآليات التي تعمل على فهم عثرات الماضي والحاضر من أجل تجاوزها لبناء مستقبل أفضل.

ذلك المنهج -التفنيدي-يسمح لنا بالاقتراب أكثر فأكثر من الصدق ومن ثمة فإن آلية نمو المعرفة وتقدمها مرهونات بحذف الخطأ لأن التعلم يتم حسب "بوبر" عند الحيوان والإنسان بطريقة واحدة، هي طريقة المحاولة واستبعاد الخطأ، حيث يقول: «نحن لا نبحث عن اليقين، الخطأ صفة بشرية. المعرفة البشرية كلها ليست معصومة من الخطأ، هي إذا محل شك [...] وكون الخطأ صفة بشرية، لا يعني فقط أن علينا أن نكافح دوماً ضد الخطأ، وإنما يعني أيضاً أننا لا يمكن أن نتأكد تماماً من أننا لم نخطئ، حتى لو كنا قد اتخذنا أقصى قدر من الحذر»⁽²⁵⁾ نعتبر هذا كإشارة وبداية تدفعنا للتحريض في كل خطوة يقوم بها العالم سواء من أجل بناء نظرية أو بغية التنظير للمشاريع المستقبلية بعيداً عن هفوة الماضي.

ويرى كارل بوبر أن المواقف الماضية سواء أكانت من طبيعة فيزيائية أو من طبيعة سيكولوجية أو كليهما معا لا تعيق المواقف الآتية إنها تعين بالأحرى النزوعات* المتغيرة التي تؤثر في المواقف المستقبلية... لأن المستقبل دائماً مفتوحاً وفي مسار هذا التطور مجموع الإمكانيات بالطبع لا متناهياً تقريباً⁽²⁶⁾ للإشارة فإن بوبر جاء بنظرية النزوع الطبيعي التي تقترح حل وسط بين «لا حتمية نظرية الكوانتا، القائمة على المصادفة المحضة، وبين حتمية علمية القائمة على عالية صارمة تعتبر التنبؤ بالحالة الراهنة للكون، ممكنًا وبدقة باعتماد المنهج الاستقرائي»⁽²⁷⁾.

في هذه اللحظة يجب التذكير أن النظريات التاريخية التي هاجمها بوبر: «هي واحدة عموماً، هذا لأن الحتمية لا تمنع من محاولة تأسيس نظرية تعددية والتي تقوم بتنبؤات على المدى البعيد ومحددة زمانياً»⁽²⁸⁾ خلص بوبر على نتيجة مفادها أن هناك علم حتمي وعلم لا حتمي، ونلمس هذا من خلال موقفه غير الثابت من التنبؤ العلمي والذي يبدو أنه في نهاية الأمر قد تقبله بصورة جزئية، أي أن إمكانية التنبؤ قائمة ولكنها غير مكتملة وعليه تصبح غير ممكنة لكافة الحوادث، وبذلك فإن نزوعات بوبر هي علل حتمية ولا حتمية في آن واحد،

²² - المرجع نفسه، ص 252.

²³ - كارل بوبر، منطق الكشف العلمي، تر: ماهر عبد القادر، ط1 (لبنان: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1986)، ص 42.

²⁴ - يمني طريف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين، (سلسلة عالم المعرفة العدد: 264، 2000م)، ص، 346.

²⁵ - كارل بوبر، البحث عن عالم أفضل، تر: أحمد مستجير، ط1 (مصر: الهيئة العامة للكتاب، 1999)، ص 14.

*-النزوعات: نسبة إلى النزوع (Propension) للاطلاع أكثر أنظر: كتاب د/لخضر مذبوح، فكرة التفتح عند كارل بوبر.

²⁶ - لخضر مذبوح، مرجع سبق ذكره، ص 276

²⁷ - المرجع نفسه، ص 270.

²⁸ - Alain Boyer. L'explication en histoire n°08. (France: Presses universitaire de Lille 1992). p94.

لذلك:«تسمح لنا نظرية النزوع بالعمل في إطار تأويل موضوعي للاحتمالات من منطلق أنه لا نعرف المستقبل. فهذا الأخير؛ موضوعيا ليس محددًا بعد، فهو مفتوح، وحده الماضي محددًا». (29)

ها نحن نعود إلى الشريط السينمائي مرة أخرى حيث يعتبر بوبر نظرية النزوعات الطبيعية شريطًا سينمائيًا آخر يجمع بين الحتمية والمصادفة وبذلك يمكن اعتبار نظرية النزوع سبيلًا يسمح لنا بالاستشراف المستقبل بصورة منفتحة تتجاوز النظرة الحتمية الدغمائية للأشياء.

ولكن الآن أريد أن أعود إلى نقطة البداية. المستقبل جد مفتوح ويمكن أن نؤثر فيما هو قادم... (30) ، التاريخانية خطأ من أقصاها إلى أقصاها لأن التاريخاني يرى التاريخ مثل النهر الجاري، ويعتقد أنه يستطيع أن يتوقع أين يمر الماء ويعتقد التاريخاني أنه أكثر ذكاء، إنه يرى الماء ويتصور أو يتخيل أنه بإمكانه أن يتكهن بالمستقبل... فباللحظة الحاضرة هي اللحظة التي انتهى فيها التاريخ، وليس بمقدورنا أن ننظر إلى المستقبل ونحن نعتقد أنه بإمكاننا أن نتكهن به بفضل المجري أو الاتجاه. لا يمكن لنا أن نقول: كنت اعرف أن المجري سيمر من هنا. (31)

فالمعرفة المكتسبة مصنوعة من فرضيات على وجه التحديد، التي يمكنها أن تحتل الخطأ وتقبل التصحيح المتواصل، إلا أنهذه العملية المفترضة لا تفضي فحسب إلى نمو المعرفة فقط بل تساهم في تنمية الحاضر والتنظير نحو بناء اجتماعي، اقتصادي وسياسي ومعرفي أفضل.

وفي كتابه "المجتمع المنفتح و أعداؤه" يقوم كارل بوبر بتطبيق أفكاره العلمية على النظرية الاجتماعية والسياسية حتى قبل أن يتحقق كليًا من نجاحها في العلوم الطبيعية، لأنه نظر إلى إمكانية تطبيقها في عديد من المجالات، لهذا قدم لنا في كتابه مبدأ مرشدا للسياسة العامة هو: "أقل قدر ممكن من المعاناة" كمقابل لمبدأ جون ستيوارت مل Milljhon Stuart (1806-1873) "الكبر قدر من السعادة" على أن مبدأ بوبر، يتميز عن جون ستيوارت مل بأنه يلفت الانتباه مباشرة إلى المشكلات في الحاضر ويتعداها إلى إمكانية تجنبها في المستقبل. يذكرنا هذا بقول بوبر: «أن المستقبل مفتوحا، يمكن أن يكون محل تدخل انساني» (32)

وخلاصة القول يمكن الإشارة «أن الطريق الوحيد للاقترب من المنهج العلمي في السياسة هو التسليم في أعمالنا بأنه لا يمكن القيام بعمل سياسي خال من العيوب أو عمل لا ترتب عليه نتائج غير مرغوب فيها، ولكن التردد لهذه الأخطاء [...] هو ما ينبغي أن يفعله السياسي العملي والعالم السياسي على حدّ السواء». (33)

الخاتمة

إن الواقع يثبت لنا أن ما من عمل علمي يخلو من النقائص التي قد تؤدي إلى نتائج غير مرغوبة، لذلك استوجب علينا البحث وترصد تلك النقائص بغية تجنبها في المستقبل، ويبدو اليوم أن استخدام المنهج العلمي لتجاوز العثرات والتحديات المستقبلية لبناء مجتمع أفضل في الحياة الاجتماعية أصبح هاجس وغاية يطمح كل مفكر لبلوغها، وفي هذا الشأن يقول بوبر: «يعني أن نطرح عنا ذلك الفن العظيم الذي نوقف بواسطته إلى إقناع أنفسنا بأننا لم نقترف

²⁹ -Karl Popper, *Un univers de propensions : deux études sur la causalité et l'évolution*, Trad: Alain Boyer, (éditions de l'éclat 1992), p40.

³⁰ - كارل بوبر، درس القرن، تر: زواوي بغورة، (الجزائر: منشورات الاختلاف 2008)، ص111.

³¹ - المصدر نفسه، ص70.

³² - لخضر مذبوح، مرجع سبق ذكره ص264.

³³ - كارل بوبر، بؤس الإيديولوجيا نقد مبدأ الأنماط في التطور التاريخي، تر: عبد الحميد صبره، ط1، (لبنان: دار السياق، 1992)، ص

خطأ من الأخطاء، وتجاهلها وتوبيخ الغير عليها [. . .] فلنستبدل هذا الفن فنا أعظم يساعدنا على قبول مسؤولية أخطائنا ومحاولة التعلم منها، يسمح لنا بتجنبها في المستقبل»⁽³⁴⁾.

قائمة المصادر والمراجع:

بالعربية:

- 1- كارل بوبر، الحياة بأسرها حلول لمشاكل، تر: بهاء درويش، ط 1، (الإسكندرية: منشأة المعارف العامة، 1994)، ص 270.
- 2- كارل بوبر، منطق الكشف العلمي، تر: ماهر عبد القادر، ط1(لبنان: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1986)، ص 42.
- 3- كارل بوبر، البحث عن عالم أفضل، تر: أحمد مستجير، ط1(مصر: الهيئة العامة للكتاب، 1999)، ص 14.
- 4- كارل بوبر، درس القرن، تر: زواوي بغورة، (الجزائر: منشورات الاختلاف 2008)، ص 111.
- 5- كارل بوبر، بؤس الإيديولوجيا نقد مبدأ الأنماط في التطور التاريخي، تر: عبد الحميد صبره، ط 1، (لبنان: دار السياق، 1992)، ص 101.
- 6- محمد نبيل، نوفل، رؤى المستقبل، المجتمع والتعليم في القرن الحادي والعشرين. المنظور العالمي والمنظور العربي، مجلة التربية العربية، المجلد السابع عشر، العدد الأول 1997.
- 7- يحيى سعيد قاعود، أطروحات فوكوياما وهانتنغتون والنظام العالمي الجديد: دراسة تحليلية مقارنة، (الرياض: مركز البيان للبحوث والدراسات، 2015)، ص 104.
- 8- توفيق بن أحمد القصير، آلية تحقيق واستمرار الدراسات المستقبلية، أبحاث ندوة مستجدات الفكر الإسلامي والمستقبل، ط 1، (الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1993م)، ص 166.
- 9- محمد السيد، سعيد، المشروعات الراهنة للدراسات المستقبلية، صارت أكثر ميلا للجزئية. الأربعاء 15 ماي 1996.
- 10- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ط 1، (لبنان: دار العلم للملايين، سنة 1989)، ص 153.
- 11- وليد عبد الحي، الدراسات المستقبلية: النشأة والتطور والاهمية، مجلة التسامح، العدد 09، عمان، 2005، ص 68.
- 12- قسنطيني رزيق، نحن والمستقبل، ط 2، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1992)، ص 167.
- 13- فؤاد بلمودن، الدراسات المستقبلية: الأسس الشرعية والمعرفية والمنهجية لاستشراف المستقبل، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2013)، ص 17.
- 14- إلياس بلكا، الوجود بين السببية والنظام، دراسة في الأساس الشرعي والفلسفي لاستشراف المستقبل، ط 1، (فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي—الولايات المتحدة الأمريكية، 2009)، ص 35.
- 15- محمد وائل القيسي، الأداء الاستراتيجي الأمريكي بعد عام 2008 إدارة بارك أوباما نموذجا، ط1(الرياض: العبيكان للنشر 2016)، ص 265.
- 16- خديجة زيتلي، الفلسفة السياسية المعاصرة: قضايا وإشكاليات، ط 1، (الجزائر: منشورات الاختلاف، 2014)، ص 212.
- 17- لخضر مذبوح، فكرة التفتح في فلسفة كارل بوبر، ط 1 (الجزائر: منشورات الاختلاف، 2009)، ص 357.
- 18- يمني طريف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين، (سلسلة عالم المعرفة العدد: 264، 2000م)، ص 346.

بالأجنبية:

- Karl Popper, *la société ouverte et ses ennemis, Hegel et Marx* vol2, Trad. Jacqueline Bernard et Philippe Monod, (paris : éditions du seuil, 1979), Pp, 205. -206
- Karl Popper, *Un univers de propensions : deux études sur la causalité et l'évolution*, Trad. Alain Boyer, (éditions de l'éclat 1992), p40.
- Alain Boyer , *L'explication en histoire n°08*, (France: Presses universitaire de Lille 1992), p94.

³⁴ - المصدر نفسه، ص 101.